لا أظن أن الاجابة عن هذا السؤال ، بوضوح ودقة ، أمر سهل دون الخوض في تحليلات ودقائق وتفاصيل يضيق المجال ، هنا ، عن ذكرها ؛ لكنني استطيع القول ان الديمقراطية قد تكرست داخل مؤتمر فتح ، وانه من المتوقع ان تتكرس ايضاً في واقع الحركة بفضل تنامي الوعي السياسي ، على الصعيد القاعدي في الحركة ، والذي « حبلت » به تسع سنوات فصلت ما بين مؤتمر ومؤتمر ، فكان هذا التنامي ، على صعيد المقاتل الرابض خلف بندقيته في اقصى الجنوب ، وكل المناطق الأخرى ، وعلى الصعيد العضو في التنظيم مفاجأة غير محسوبة وغير متوقعة

من هنا ، يمكن القول ، ولا تثريب في ذلك ، إن البعض لم يرق له هذا التنامي في الوعي الذي أدى الى ممارسة شاملة وواعية للديمقراطية ، مع ما تستتبعه هذه الممارسة من حرية للنقد تقود الى ردع المخالفات التنظيمية ومنع التجاوزات والقضاء على النفاق والانتهازية .

لن نناقش هذا البعض ، طويلاً وإنما سوف نعطي وقتاً أطول لأولئك الذين وقع في روعهم ، بوعي أو بغير وعي ، ان ممارسة الديمقراطية سوف تؤدي الى تعريض الوحدة الوطنية للخطر ، وان حرية القول والنقد تقود الى فرز للتيارات والاتجاهات المتعددة ، الامر الذي يؤدي ، غالباً ، الى شق الحركة الواحدة .

ولقد رفع هؤلاء ، خصوصاً من وعي الامر منهم ، سيف الخوف على الوحدة الوطنية في مواجهة شعلة الديمقراطية . ووصل الامر ببعضهم الى حد نعي الحركة والتبشير بنهايتها ، الأمر الذي انعكس قلقاً كاد يؤثر ، بشكل او بآخر ، على ذلك الجو الصحي الديمقراطي الذي ساد اعمال المؤتمر منذ البداية ؛ وكاد يؤدي بالتالي الى تعطيل الممارسة الديمقراطية ، لولا تسلح القاعدة بذلك الوعي المتنامي الذي تحدثنا عنه ، والذي عبّر عن نفسه بشكل رائع طوال المناقشات التي دارت اثناء أيام المؤتمر العشرة .

هل انعكست خلجات الخوف السائد ، أو بتعبير أدق التخويف السائد من الديمقراطية في الوطن العربي ، بحيث ان الكثير من المخلصين خالجهم ذلك الخوف ، لوقت ما ، من الممارسة الديمقراطية . واعتقدوا بما روجه اعداء « الديمقراطية للجماهير » ، من ان الديمقراطية تؤدي الى تقسيم الصفوف والى اضعاف الوحدة الوطنية ؟

انه تساؤل مشروع ، وهو تساؤل في موقعه ايضاً ؛ فنحن نعيش هذا الواقع العربي ، ونحمل بعض أمراضه ؛ فالارهاب الفكري الذي يسود فيه ينعكس ، في جزء منه ، على واقعنا ايضاً . وانه ، في احسن الاحوال ، يمكن القول ان التخويف السائد نقل الينا القليل او الكثير من الخوف ، الذي يمكن للبعض ان يقع في كمينه ، وفي الوقت نفسه يمكن للبعض الآخر أن يستثمره ، ويلوح به ، ليحقق ، من خلاله ، اهدافاً يسعى الى تحقيقها .

ولذلك يمكن القول ان بداية المؤتمر كانت ارتباكاً ، أو تعثراً لم يطل ، حيث ان الاغلبية الساحقة فيه حسمت امرها ، واختارت الممارسة الديمقراطية طريقاً لها ، فسقط التخويف ، وتراجع الخوف ، ومضت الامور الى نهايتها ، لتجعل من المؤتمر مفخرة واعتزازاً خاصاً يقدمه الشعب الفلسطيني لهذه المنطقة من العالم التي تسود فيها العديد من الديكتاتوريات ، ويتحكم